ومهما تكن القوتان المادية والمعنوية كبيرتين ، ومهما كان الاعداد المادي والمعنوي دقيقا ، فان امكانية استخدام القوى على ارض المعركة ، واحتمالات النصر في الصدام المرتقب لا تصل الى ذروتها — في عالمنا المترابط المتشابك بكل تعقيداته وحساباته وتوازناته الدولية — الا اذا امتلكت القيادة السياسية — العسكرية العليا حرية عمل واسعة عن طريق اكتساب المناورة السياسية الداخلية والمناورة السياسية الخارجية بشكل حاسم يضمن تماسك المجتمع ودعم الرأي العام العالمي طوال مدة الصراع التي يسعى كل طرف من الطرفين المتنازعين الى تقصيرها او اطالتها حسب لجوئه — بناء على وضعه وتقديراته وتوقعاته الخاصة بتبديل موازين القوى — الى استراتيجية الحرب الخاطفة او استراتيجية الحرب طويلة الامد .

وتكشف دراسة حركة المجتمع الاسرائيلي واتجاهات الرأي العام العالمي خلال الحروب العربية — الاسرائيلية الثلاث (٤٨ — ٥٦ — ٦٧) وخلال معارك الاستنزاف او فترات الهدنة الطويلة بين هذه الحروب ، تماسك غالبية طبقات الشعب وشرائحه في اسرائيل ، وتأييدها — بنسب متباينة — لفكرة ضرورة اخضاع كافة التناقضات والصراعات لصالح الصراع ضد العرب . كما تكشف ان شرائح واسعة من الرأي العام العالمي — بما في ذلك مجموعات « اشتراكية » غربية وشعوب مقهورة في العالم الثالث — كانت تؤيد اسرائيل رغم عدوانها المكشوف . ولا يمكن تفسير هاتين الظاهرتين الا اذا وعينا نجاح العدو في المناورتين السياسيتين الداخلية والخارجية قبل المعارك العسكرية ، وخلالها ، وبعدها .

ولقد استخدم الاسرائيليون لتحقيق هذا النجاح اكثر من سلاح ، واستندوا الى عدة افكار ، كتدعيم ايديولوجية ديناميكية عنصرية في الداخل ، والعمل خارجيا بديبلوماسية نشطة ترافقها مساعدات اقتصادية وتقنية وعسكرية للدول الافريقية حديثة الاستقلال ، مع الافادة من قوة الاعلام الاسرائيلي وسيطرة الصهيونية العالمية على الاعلام في عدد كبير من الدول بغية تشويه سمعة العرب ، وكشف تناقضاتهم الداخلية ، واقناع العالم بعدالة الحرب الدفاعية (الوقائية) الاسرائيلية ، واقناع العالم الغربي بالاسطورة المزيفة القائلة بأن مبادئه ومثله العليا (!) مرتبطة ببقاء اسرائيل « المخفر الامامي الذي يحرس المدنية ضد البربرية »(١)، وبأن مصالحه المادية تتفق ودعم هذه الدولة التي ستقف في وجه مد الحركات التحررية في المنطقة وتكون « قاعدة ضد روسيا »(٢) و « حصن الديمقراطية في هذا الشرق »(٣)... الخ .. بالاضافة الى التأكيد على اسطورة محورية هي : **خطر الابادة المحدق بالشعب الاسرائيلي** الذي يخوض معركته وهو بين شدقي الاسد . وتستند اسطورة خطر الابادة الى ان اسرائيل دولة صغيرة حضارية مسالمة [!] تعيش وسط منطقة معادية وحساسة ، وفي ظروف عسيرة تجعل **حضارتها المادية والروحية معرضة للخطر ومرتبطة بشكل لا يقبل الانفصام مع مقتضيات الامن** . والحقيقة ان التركيز على خطر الابادة الخارجي لا يستهدف سوى احتواء النزاعات الداخلية ، وبناء وحدة وطنية قوية باسم ضرورات الامن التي جعلتها الحكومة الاسرائيلية ، حسب تعبير المطران يوسف ريا « بقرة مقدسة »(٤). وفي الندوة التي نظمها معهد شيلواح وجمعية السلام وكلية ادارة الاعمال في جامعة تل ابيب تحت عنوان « تحديات السلام » تحدث الدكتور يوحنان بيرس ، الاستاذ في علم الاجتماع بجامعة تل ابيب عن العوامل الخفية للنزاع العربي الاسرائيلي ، وذكر ان من هذه العوامل « الرغبة في ابراز المشاركة اليهودية ازاء الظاهرة الاجتماعية المعروفة ، وهي ازدياد النزاعات الداخلية عندما يتلاشى الخطر الخارجي »(٥). وتحدث عن تغذية العداء اليهودي للعرب ، واعادها الى عدة اسباب منها « المصلحة في تقوية بناء الوحدة الوطنية ضد عدو خارجي مشترك »(٦). بيد ان محاولة التركيز على الخطر الخارجي ،